جذور المعرفة والتعليم في بلاد الرافدين (2800-539 ق.م)

The Roots of Knowledge and Education in Mesopotamia (2800-539 B.C)

أ. د. حسين احمد سلمان Prof. Dr. Hussein Ahmed Salman
الجامعة المستنصرية/كلية التربية
Al-Mustansiriyah University / College of Education
Husseinalbawy55@gmail.com

ملخص

لقد اثبتت دراسات الباحثين بما لايدع مجالاً للشك أن اول حضارة بشرية ناضجة انبثقت في ربوع بلاد الرافدين منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد شملت عطاءاتها الاوجه المختلفة لاساليب العيش من اقتصادية واجتماعية وفكرية وعلمية وفنية، ومن ابرزها ما تحقق من نضوج فكري تكلل بظهور البدايات الاولى للكتابة في حدود (٣٥٠٠) قبل الميلاد، والتي كانت بحق محصلة حضارية كبرى في تأريخ الانسان، بينما توصل قدماء المصريين الى نظام الكتابة بعد قرنين عن ذلك التأريخ.

كلمات مفتاحية: المدرسة، المعلم، القلم، اللوح المسماري، الطالب.

Abctract

In their documentation of school tablets, the ancient Sumerians approached writing with an educational mindset, reflecting their methods of teaching and instruction. This is evident in some of the earliest written texts from the city of Uruk. By the early third millennium BCE, schools had begun to spread throughout Sumer, and learning to write became an established practice taught in a systematic manner. These texts represented the earliest recorded expressions of

human thought, encompassing various forms of knowledge and expertise, whether scientific, professional, or practical.

Keywords: School, Teacher, Stylus, Cuneiform Tablet, Student.

جذور المعرفة والتعليم في بلاد الرافدين

(2800–539 ق.م)

المقدمة:

لقد اثبتت دراسات الباحثين بما لايدع مجالاً للشك أن اول حضارة بشرية ناضجة انبثقت في ربوع بلاد الرافدين منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد شملت عطاءاتها الاوجه المختلفة لاساليب العيش من اقتصادية واجتماعية وفكرية وعلمية وفنية، ومن ابرزها ما تحقق من نضوج فكري تكلل بظهور البدايات الاولى للكتابة في حدود (٣٥٠٠) قبل الميلاد، والتي كانت بحق محصلة حضارية كبرى في تأريخ الانسان، بينما توصل قدماء المصريين الى نظام الكتابة بعد قرنين عن ذلك التأريخ (فرانكفورت، ١٩٦٥، الصفحات 145–147)، بينما في بلاد اليونان فلم تعرف الكتابة الا في القرن السابع قبل الميلاد، وفي شمال أوربا في حدود القرن الأول قبل الميلاد (سليمان ، 1983، صفحة 222)، وكانت أولى النصوص الكتابية المعروفة حتى الان باللغة السومرية لغة سكان العراق الاصليين اكتشفت في مدينة الوركاء (بصمه جي، ١٩٦٠، صفحة 3)، وعملت اكثر من الف لوح صغير من الطين نقشت بالكتابة الصورية، تضمنت اغلبها اجزاء من مدونات اقتصادية ودينية، وبينها ايضاً الواح شملت على جداول للكلمات لاغراض الدرس والتمرين، وهذه تشير الى بدايات التعليم في العالم، وطور العراقيون بعد ذلك كتابتهم الى الطريقة الرمزية ليتسنى لهم تدوين الافكار والاشياء المعنوية، ومن ثم توصلوا الى المرحلة الصوتية في استخدام الخط المسماوي، وذلك باعطاء اصوات للعلامات تتناسب مع لغتهم مجردة عن مدلولاتها الصورية والرمزية، وكان ذلك في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. وان الخط المسماري الذي ابتكره السومريون لتدوين لغتهم اقتبسته اقوام وشعوب الشرق الادنى لتدوين لغاتهم، وفي مقدمتهم الجزريون الذين عاشوا الى جنب السومريين، ومن اشهرهم الاكديون والبابليون والاشوريون، كما اقتبس الخط المسماري، العيلاميون والحثيون والحوريون والميتانيون والاوراتيون والكاشيون والفرس الاخمينيون (الجادر و فاضل، 1987، صفحة 93؛ باقر، علي، و سليمان، ١٩٨٠، صفحة 161؛ ساكز، ١٩٧٩، صفحة 212؛ لويد، ١٩٤٣، صفحة 16؛ Walter, 1966, pp. 62–64)

جذور المعرفة والتعليم في بلاد الرافدين

المادة الكتابية:

استخدم العراقيون القدامى مادة الطين الطرى على شكل الواح (رقم طين) كقرطاس للتدوين عليها، وسمى السومريون رقيم الكتابة (دب dub) وتقابلها بالاكدية (طبو Tuppu)، وكانت باشكال واحجام مختلفة تبعاً للفترات التأريخية القديمة، واستخدموا في الكتابة قلماً من القصب ذات نهاية مثلثة ومدببة سمي (كي– دب– سار –GI Dup–SAR) (كريمر، ١٩٥٦، صفحة 43؛ علي، ١٩٧٩، صفحة 40)، هذا ومن الجدير بالاشارة أن العراقيين استخدموا في عصور لاحقة الى جانب الواح الطين للتدوين عليها الاحجار بأنواعها للكتابات التذكارية، واحياناً العاج كما في العصر الاشوري الحديث وبعض المعادن كالنحاس، والبرونز والفضة والذهب ولعلهم استخدموا مادة الخشب للكتابة، كما جاء من أحد النصوص من العهد الاشوري الحديث، ومن عهد الملك سرجون الثاني الاشوري نجد هنا أول ذكر للكتابة على الجلود. وقد كانت أولى الالواح الكتابية التعليمية في العراق القديم ذات شكل بيضوي أو دائري تقريباً (شكل1).

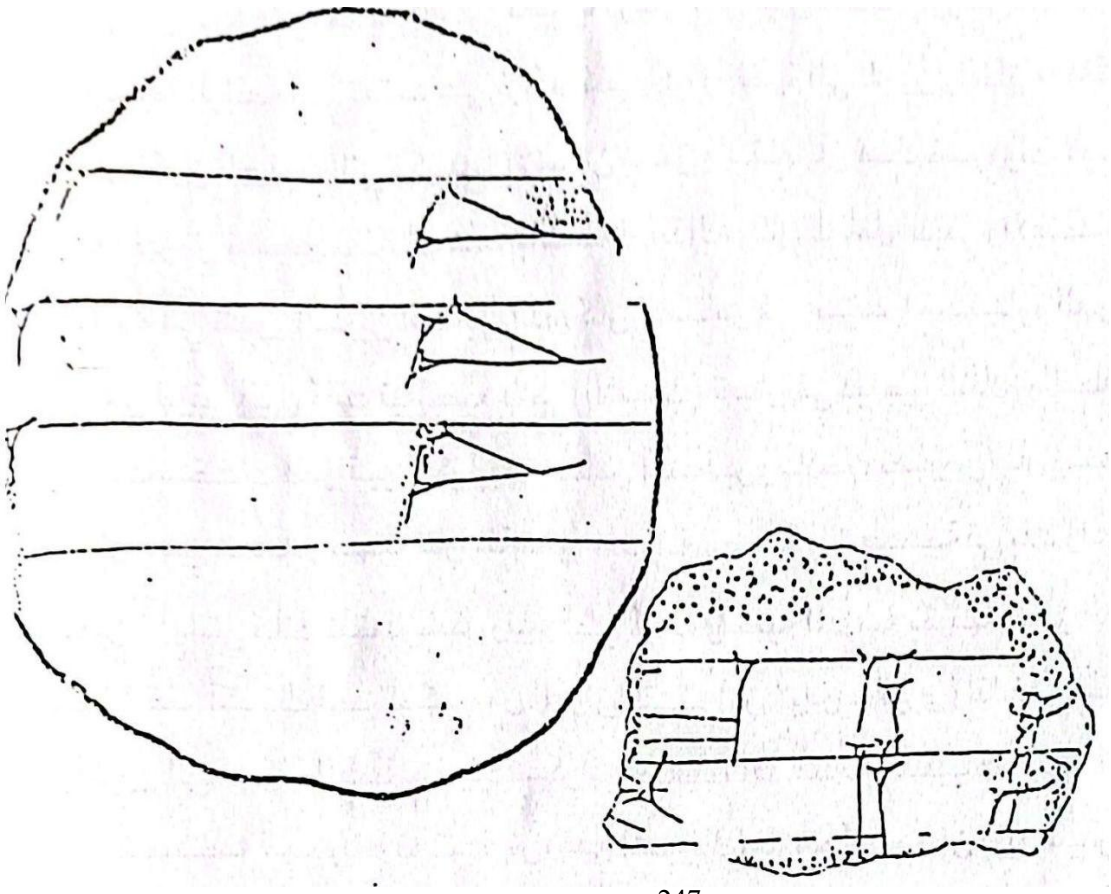

شكل (١)

نماذج من الرقم القرصية المعد لتدريب الطلاب. (الجادر و فاضل، 1987، صفحة 88)

وكان القوم في تدوينهم للالواح المدرسية يفكرون بعقلية وطرق التعليم والتدريس كما يتبين لنا من بعض النصوص الكتابية الوركائية الأولى، ثم أخذت المدارس تنتشر في أرجاء بلاد سومر منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد واصبح تعلم الكتابة امراً واقعاً تدرس بشكل منتظم، وجدت تلك النصوص الترجمة الاولى لفكر الانسان بما تحويه من معارف وخبره علمية مهنية كانت أو تطبيقية، وكان العراقيون القدماء أول من توصل الى هذه التجربة الرائعة التي تعتمد على تراكم الخبرات والنظرة الى الكون والخلق والافكار. ولا بد أن تكون الحاجة التي فكر بها الانسان بعمق واقتنع بأن هناك ضرورات لا يمكن تجاهلها لغرض تسجيل معلومات هامة بالنسبة له انذاك، وكان للعامل الديني والاقتصادي الدور المهم في ظهور التدوين الكتابي الذي كان الاساس في استقراء حضارة العراق القديم في الوقت الذي كانت فيه جميع الامم (الشعوب) تعيش في دياجير الظلام والتخلف. وقد كانت مخلفات العراقيين الكتابيه تتضمن اساطير وملاحم ونصوص فأل وسحر ورسائل، وهي مصادر مهمه لدراسة تطور المعرفة العلمية والتعليمية في بلاد وادي الرافدين (ديورانت، ١٩٦٥، صفحة 13). ومن الملاحم التأريخية المهمة في تأريخ العراق القديم ملحمة كلكامش التي يحق أن نسميها اوديسية العراق الخالدة، وقد دونت هذه الملحمة قبل نحو (٤٠٠٠) عام وترجع في حوادثنا الى عهود اقدم. وبطل هذه الملحمة كلكامش خامس ملوك سلالة الوركاء الاولى، وينسب اليه تشييد اسوار مدينة الوركاء. والمرجح أنه حكم في حدود (٢٦٠٠ق.م) اي في الالف الثالث قبل الميلاد، وانه على ما يبدو كان يعاصر مؤسس سلالة اور الاولى (ميس– انيبدا) وقد دونت ملحمة كلكامش على أثني عشر لوحا وعنوانها (هو الذي رأى كل شيء) .

المدرسة: ان مخلفات العراقيين الكتابية تعتمد بشكل رئيس على مكانه واهمية المدرسة بكونها مركز العلم والمعرفة كما أكد ذلك احد الحكماء من العراق القديم **(من لا يعرف لايرى)** لذا فقد سعى العراقيون الى المعرفة العلمية منذ

وقت مبكر في حياتهم، وقد هدتنا التنقيبات الاثرية الى اماكن مخصصه للعلم والمعرفة كمدارس، ففي شروباك(فاره حالياً) موطن (زيو سيدرا) بطل الطوفان السومري جاءتنا اعداد كبيرة من الالواح المدرسية والمتضمنة علامات مسمارية معدة لغرض استنساخها من قبل الطلبة. فانتشر وازداد عدد الكتاب والنساخ للخط المسماري في بلاد سومر واكد نتيجة لانتشار المدارس، ومن الطريف ذكره أن احصائية جاءت من عهد سلالة أور الثالثة بعدد الكتاب البالغين (١٥٤١) كاتباً موزعين (٦٢٠) كاتباً لمدينة لجش (تلو) و(٣٨٤) كاتباً لمدنية أوما و(٢٠٢) كاتباً لمدينة أو، كما بلغ كتاب مدينة سبار خلال فترة حكم الملك حمورابي حوالي(٩٠)كاتباً (الجادر و فاضل، 1987، الصفحات 91–92)،وقد كانت بلاد الرافدين مزدوجة اللغة، فبقت اللغة السومرية الى جانب اختها اللغة الاكدية يتعلمها التلاميذ من خلال المعاجم اللغوية في مدارسهم، حيث بقيت النصوص الدينية تدون بها حتى عام (٨٠) ميلادية (مرغريت، ١٩٨٠، الصفحات 19–20). لذا فقد شغف بها ملوك العراق القدماء، فيروى لنا الملك الاشوري آشور بانيبال **(بأنه فهم وتعلم الالواح الصعبة بلغتها السومرية القديمة)** (وولي، ١٩٤٨، صفحة 31)، لذلك فأن تعلم هذه اللغة كان يعني الرجوع الى المعاجم والقواميس اللغوية، ويحتم على التلميذ والكاتب والناسخ الالمام والاحاطة بقواعدها، وهذا يتطلب اعلى درجات الوعي الثقافي، كما يعبر عن ذلك المثل السومري **(أن فن الكتابة هو أم الاساتذة وابو الخطباء)** (الفؤادي، ١٩٧٩، الصفحات 89–90).

وقد عاش السومريون حياة منظمة بواسطة الكتابة، حيث شملت الوثائق المكتوبة ادارة الشؤون الاقتصادية للمجتمعات في بداية عهدها (فرانكفورت، ١٩٦٥، صفحة 64؛ Soviet Scholar.، 1969، صفحة 74). ومن اجل الالمام باللغة السومرية وقواعدها وتنظيم المجتمع اقتصادياً انشأت مؤسسات تعليمية وثقافية في بلاد سومر. وعرفت المدرسة باسم (اي دبا É–dubba) اي بيت الالواح، وسمي المتعلم (التلميذ) (دمو اي– دبا Duma dubba) اي ابن المدرسة، ودع المدرس(دب–سار DUB–SAR) ومدير المدرسة (أوميا Umid) وقد نجد اختصاصات مختلفة في المدارس السومرية في ضوء المناهج التدريسية، فهناك مدرس اللغة السومرية (دب–سار–كي–ان–جي DUB–SAR–KI–EN–GI) ومدرس العلوم الهندسية (دب–سار–اشاك DUB–SAR ASHAG) ومدرس الرياضيات (دب–سبار–نيشات DUB–SAR NISHIT) ومدرس فن الرسم والطب والفلك والشعر والادب ومن أجل أن يأخذ التعليم دوره الصحيح ومكانته في المجتمع السومري.

الادارة المدرسية: أعتمد العراقيون القدامى نظاماً خاصاً للمدرسة وادارتها والطريقة التي كانت تديرها، ففيما يتعلق بالادارة والهيئة التدريسية كان رئيس المدرسة اوميا (Umia) ابو المدرسة ومساعد الاستاذ (الاخ الكبير) (علي، ١٩٧٩، صفحة 44)، وهناك لجنة انضباط المدرسة مسؤوليتها الحفاظ على النظام المدرسي، ويدعى مسؤولها **(الرجل الموكل بالسوط)**. ان نظام التعليم في العراق القديم لم يكن الزاميا أو عاما وانما كان التعليم حصراً على

ابناء الطبقات الميسورة لقاء اجور محددة بينما حرم ابناء الطبقات الفقيرة من هذه الفرصة. ويبدو ان ابناء الطبقات الغنية كانوا يدخلون المدارس ليتخرجوا منها دون غيرهم ويتولون الوظائف الرسمية المرموقة والكتابية. وان هذا السباق يشير الى ما توصل اليه الاستاذ نيقولا شنايدر من خلال دراسته لالاف النصوص الكتابية المنشورة ذات المواضيع الاقتصادية والادارية والتي يرجع زمنها الى نحو (٢٠٠٠ق.م)، فاحصى لها اسم خمسمائة شخص دونوا اسمائهم في تلك النصوص على انهم كتبة وتبين له من اسماء ابائهم انهم كانوا من طبقة الحكام ووجهاء المدينة ومن السفراء والمشرفين على الاعمال، ومن الكتبة الموكلين بأدارة دور السجلات والمحاسبين.

وهكذا حصرت الوظائف بطبقات معينة، وكان الهدف من دخولهم المدرسة هو اعداد ملاكات متخصصه او ما يعرف بالتدريب المهني (كريمر، من الواح سومر، ١٩٥٦، الصفحات 46-47؛ كريمر، السومريون، ١٩٧٣، صفحة 331؛ ساكز، ١٩٧٩، صفحة 293؛ علي، ١٩٧٩، صفحة 43). كما يبدو أن هناك مدارس عليا تدعى بيت الحكمة بيت مومي (Bitmumi) (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، الصفحات 47-48؛ باقر، علي، و سليمان، ١٩٨٠، الصفحات 163-164؛ سليمان ، 1983، صفحة 322)، لقد تفاخر الملوك العراقيون القدامى في تشييد المدارس ودور العلم والمعرفة فشولكي(2095-2047 ق.م) ابن اور- نمو (2112-2095ق.م) مؤسس سلالة اور الثالثة يعبر عن فرحته لتشيد مدرستين احداهما في مدينة اور والاخرى في مدينة نفر، ويشير كيف انه دفع احد ابنائه الى دراسة متخصصة ليصبح كاتباً، وكيف ان شولكي تعلم في المدرسة فن الكتابة والحساب (الجادر و فاضل، 1987، صفحة 89)، ولصعوبة الكتابة المسمارية في التعلم مقارنة مع الكتابات الابجدية، اضطر الكتبة القدامى إلى استخدام علامات ومصطلحات تتفق عليها توضع قبل أو بعد الاسماء او الاماكن للدلالة على ماهيتها وصنفها ، فعلامة النجمة كانت تسبق اسماء الالهة وعلامة الارض كي(ki) توضع بعد اسم كل مدينة وعلامة أد(id) تسبق اسماء الانهار (سليمان ، 1983)، وهكذا .....؟ وقد كانت دور العلم والمعرفة في بداية حياتها ملحقة بالمعابد ولكن فيما بعد اصبحت لها كيان مستقل كما دلت على ذلك التنقيبات الاثرية وهذا لا يلغي استمرار تدريب الطلبة الصغار على الكتابة في البيوت الخاصة والمعابد، كما في مدينة اور حيث كانت بعض اقسام معابد الالهة ننكال والاله وننا(سن) للتعلم (كريمر، ١٩٥٦، صفحة 43؛ علي، ١٩٧٩، صفحة 44). ومع بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وعلى ضوء النصوص المسمارية المدرسية المكتشفة في بعض الوحدات البنائية التي على ما يبدو كانت مدارس، ولكنها لا تختلف كثيراً عن طرز البيوت السكنية سوى احتوائها النصوص المدرسية (ساكز، عظمة ،بابل، ١٩٧٩، صفحة 263). ومن أجل الارتقاء بالتعليم واعطائه طابعاً علمياً فقد أوكلت الى الالهة، واصبحت كل المعارف ودور العلم تحت اشراف الاله انكي اله المياه والاله نابو اله الحكمة والمعرفة ابن الاله مردوخ وهو رب وسيد فنون الكتابة وحامي المدرسة، والذي يمسك بالقلم المقدس ويحمل الرقيم الخاص بالمراسيم الالهية، كما كانت الالهه نيسابا مشرفة على التدوين ومعرفة

الكتابة. وقد كانت مكانة التعليم ترتكز على انه هو الوسيلة العلمية التي يمكن بواسطتها نقل ميراث المعارف والتجارب والعلوم الى الاجيال المتعاقبة، وقد شاعت العلوم والمعارف بشيوع المدارس، وتوسعت المعرفة بالتدوين والكتابة، وكان معلوموها في بداية الامر من الكهنة، ومن نصائح حكماء بلاد الرافدين بهذا الخصوص **(يابني تقبل تعاليمي)** و **(يابني اذا ضربتك فلا تموت)** (الجادر، ١٩٨٦، الصفحات 62–67؛ الجادر و فاضل، 1987، صفحة 84)، ويضم المعبد بالاضافة الى المدرسة خزانة للكتب المدرسية، ومخزن يحوي على مدونات للرقي والكهانة والفأل والنصوص الدينية والسحرية، بالاضافة الى مذكرات اقتصادية وادارية ومفردات لغوية لغرض الدرس والتمرين. وقد تطورت الوسائل التعليمية المختلفة واصبحت الكتابة والعلوم تدرس تدريساً منتظماً في شروباك (فارة حالياً) القديمة من خلال الكتب المدرسية التي وجدت فيها وتؤرخ الى (٢٥٠٠ق.م)، وتضم جداول باسماء الالهة والحيوانات والنباتات والاحجار (عواد، ١٩٤٨، صفحة 42).

وقد تم التمييز من خلال الخط ان هناك كتبة متميزون (متقدمون) وكتبة مبتدئون، لذا يمكن القول ان عدد دور العلم والمعرفة قد ازدهرت في العراق القديم لغزارة ما وصل الينا من الواح الطين التي دونت من قبل الطلبة كواجبات مدرسية، تتراوح خطوطها بين المبتدىء والمتقدم في الكتابة. وقد كانت المدارس العراقية القديمة مراكز للتأليف والابداع الى جانب التعليم ففيها وضعت شرح العلامات المسمارية ومرافقاتها في اللغتين والبابلية والسومرية بهيئة جداول، قوام الجدول الواحد ثلاثة حقول الحقل الوسطي يحوي العلامة السومرية والحقل الشمالي من الجدول يحوي لفظها السومري، والحقل في الجهة اليمنى يحوي لفظ العلامة البابلي (شكل2) (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، الصفحات 329–334؛ سليمان ، 1983، صفحة 224).

شكل (٢)

اللفظ السومري	العلامة السومرية	اللفظ الاكدي	المعنى العربي
IL– ar	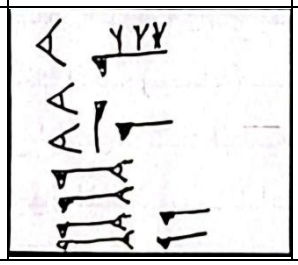	ti– il–pa– nu	عصا الرماية
ta – al		ru – up – sum	عرض
na– gá		e – si – tum	هاون
nin – da		mi– i – rum	ثور

ولم يقتصر التعليم على الذكور دون الاناث حيث وردت في النصوص المسمارية اسماء لكاتبات وناسخات منهن لقبن (فن–دب–سار) اي الكاتبة، وفي مدينة ماري (تل الحريري حاليا) من العهد البابلي القديم، وردت اسماء تسعة كاتبات لقصر الملك، وهناك كاتبة متخصصة من عهد اشور بانيبال. اما الكاهنات العليا النادیتوم فقد كن كاتبات ايضاً ومنهن (انخيدونا) ابنة الملك سرجون الاكدي وكاهنة الاله القمر سن (ننا) (الجادر و فاضل، 1987، صفحة 91).

وقد كان اللوح الطيني المدرسي ذو خصوصية معينة فيتكون من كتلة طينية معمولة بشكل دائري او قرصي غير منتظم، مسطح الوجه وقفاه محدب، وقد أختير بهذا الشكل لسهولة عملية وبساطة مسكه، ويحوي على اربعة سطور، اثنان يدونها المعلم والاثنان الباقيان يقوم المتدرب بتكرار السطرين (شكل1)، ويستخدم شظية من الحجر او الخشب لمحو ماكتبه خاطئاً أو طمس العلامة المسمارية الخاطئة بابهامه ثم كتابة العلامة الصحيحة مكانها لطراوة مادة الطين الكتابية. حيث وردت في كثير من النصوص المدرسية اخطاء طلابية لحداثة عهدهم في الاستنساخ (علي، ١٩٧٩، صفحة 41). ويبدو ان بعض البيوت استخدمت كاماكن للتعليم، ومنها البيت المكتشف في مدينة نفر والذي يحوي جداول بالالفاظ المترادفة وجدول الضرب وقوائم جغرافية وجداول باسماء الملوك ونصوص فلكية وطبية (روفائيل، ١٩٥٥، صفحة 20). وبيت في مدينة بورسيبا واماكن في مدبنة الوركاء حيث كانت النصوص في مدارس تابعة لمعبد المدينة (الجادر و فاضل، 1987، صفحة 90). ووحدات بنائية في مدينة أور (Woolley, 1931, p. 365; Woolley & Mallowan, 1976, p. 136)، وفي مدينة العلم والمعرفة مدينة سبار كشفت لنا التنقيبات الاثرية عن مدرسة ذات خصوصية معمارية لاحتوائها على صفوف مع رواق وساحات منتظمة وغرف لتسجيل الطلبة، وفي كل زاوية من زوايا الساحة صندوق في داخله طين ليصوغ منه الطلاب الواحاً كتابية ومن نصوص مدينة سبار **(المتفوق في العلم يكون ساطعاً كالشمس)** (Meissner, 1925, pp. 326–327) . كما تميزت مدينة كيش بمخلفاتها المدرسية من نصوص ووحدات بنائية (Langdon, 1924, p. 61).

اما المعهد العلمي شادوبم (تل حرمل حاليا) فهو اقدم معهد علمي في العالم ومركزا ادارياً لمملكة اشنونا منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ما تؤكد ذلك الوثائق المكتشفة فيه التي قدمت عطاء ثراً في شتي الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وخاصة العلمية والفنية جسدت الواقع المزدهر للمجتمع العراقي القديم قبل ما يقرب من أربعة الالف سنة مضت، ويشير التخطيط المعماري لهذه المدينة انها ذات خصوصية فتحوي اربعة معاهد وملاحق ادارية رسمية للمعهد العلمي وبيوت لسكن الطلاب واساتذة المعهد، ومرافق خاصة لاغراض التدريس، وتدل النصوص المكتشفة في هذا المعهد ان العراقيين القدماء توصلوا الى حل معادلات الدرجة الثانية

والثالثة، وهي نفس النظرية المنسوبة الى الرياضي اليوناني اقليدس من بداية القرن الثالث الميلادي، ولكن علماء الرياضيات في العراق القديم سبقوا هذه الرياضي بسبعة عشر قرنا من الزمن، كما ينسب الى العراقيين القدماء حل القضية الجبرية ذات المجهولين والمعروفة بنظرية فيثاغورس (شكل٣)، أي ان علماء الرياضيات في العراق القديم قد سبقوا فيثاغورس بنحو خمسة عشر قرنا (مهدي، ١٩٨٦، الصفحات 23-28،24-30؛ سعيد، ١٩٨٣، الصفحات 143-146).

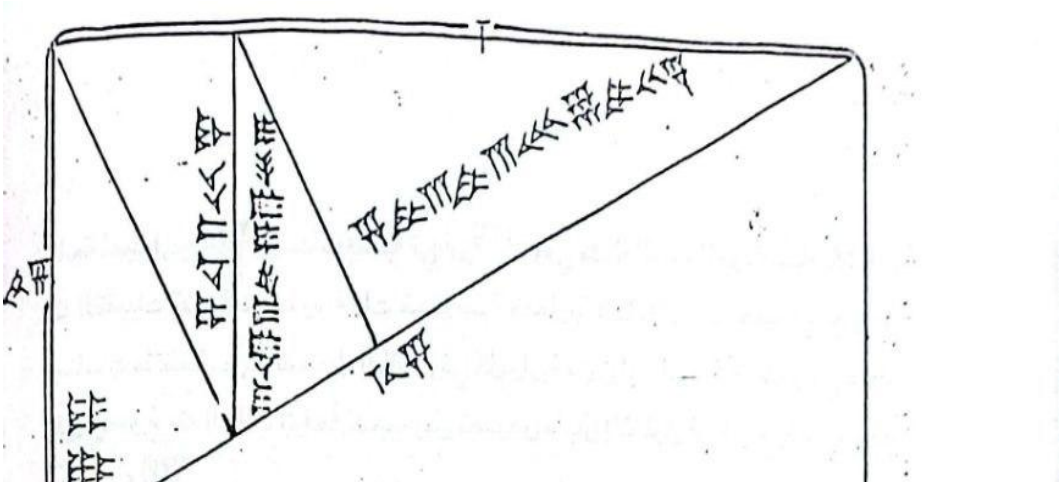

ويحوي قصر (زمري لم) في ماري على مدرسة مؤلفة من غرفتين (شكل ٤) مزودتين بدكاك من الآجر لصق الجدران او في وسط القاعة تكفي ان يجلس عليها تلميذ أو تلميذان أو اربعة تلاميذ بالاضافة الى احواض فخارية للماء والطين مما يشير الى وجود نظام مدرسي قائم على اساس تعليم صغار القصر على الكتابة على الرقع الطينية (Parrot, 1958, pp. 188–191; حنون، ١٩٧٩، صفحة 434).

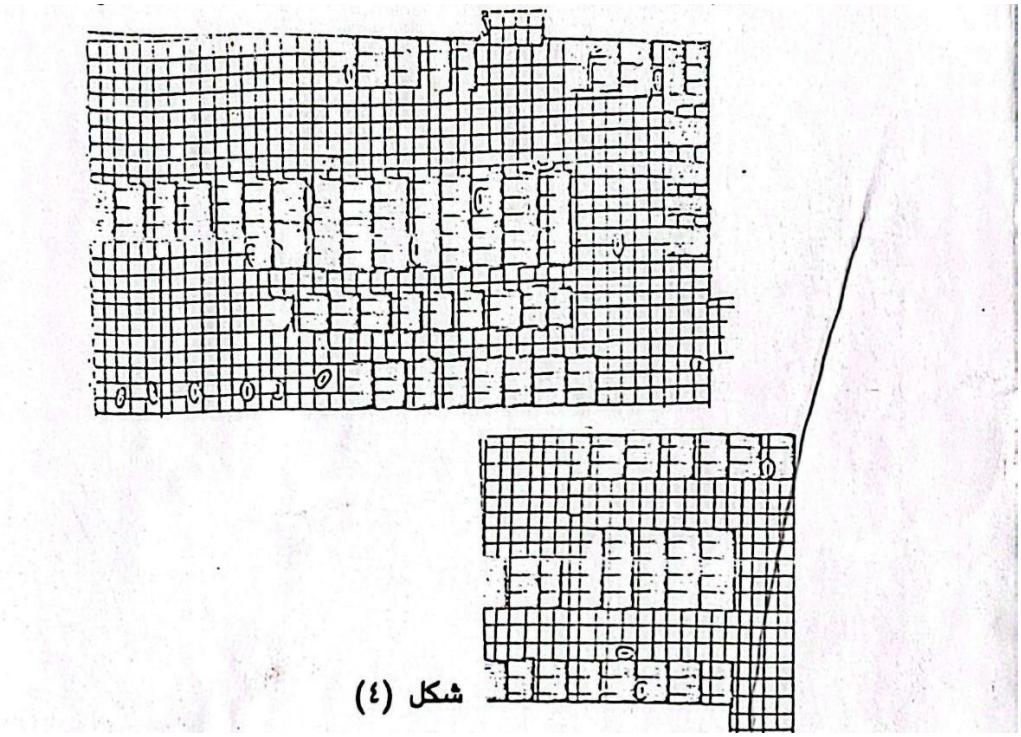

شكل (٤)

مصاطب لمدرسة من قصر رمريليم في ماري من العصر البابلي القديم

التلاميذ: وتشير النصوص الكتابية الى ان التلميذ كان حريصاً على مدرسته مخافة العقوبة، لان العقاب البدني يستخدم بحرية بسبب اهمال في الواجب البيتي وقلة اجتهاد او ارتداء رداء غير مناسب او سلوك غير متزن داخل وخارج المدرسة ففي حوار يتحدث استاذا عن ايام مدرسته في نص مسماري جاء فيه :

اين كنت تذهب عندما كنت صغاراً

كنت اذهب الى المدرسة

ماذا كنت تفعل

كنت اقرأ لوحي واتناول غذائي

ومن ثم احضر لوحي الجديد لانتهي من كتابته

وقبيل المساء كانت الواح التمارين تجلب الي

وعندما انصرف من المدرسة كنت أعود الى البيت

وعند دخولي الى البيت كنت اجد ابي جالساً هناك

فأشرح لابي ما يتضمنه لوح تمريني

وبعد أن امثل امام أبي كنت اقول

أنا عطشان اعطوني ماء لاشرب

انا جوعان اعطوني خبزاً لاكل

اغسلوا قدمي وهيئوا فراشي

فأني ذاهب لانام

ايقضوني مبكراً

لكي لا اتأخر ولا اقتص مني استاذي

وعندما كنت انهض في الصباح

كنت الاقي امي فاقول لها

اماه اعطني غذائي لأذهب الى المدرسة

فتعطيني امي رغيفين فانطلــق

اجل لقد كانت تعطيني رغيفين فأذهب الى المدرسة

وقد كان بعض الاباء يستقدمون المدرسين الى بيوتهم لغرض اعطاء اولادهم دروساً خصوصية من أجل تذليل المشكلات التي تواجه الابناء خلال الدراسة (علي، ١٩٧٩، الصفحات 46-47؛ كريمر، من الواح سومر، ١٩٥٦، الصفحات 56-57؛ عبد الحليم، ١٩٨٣، صفحة 75). وتكمن أهمية ومكانة التعليم في متابعة الاب لابنه وابداء توصياته له عندما يجده متقاسعاً، ففي نص سومري يقوم الاب بتوبيخ ابنه محذراً اياه من التسكع في الشوارع وضرورة اطاعة معلمه ووجوب الذهاب الى المدرسة، وينفجر الاب غضباً مذكراً اياه بأنه حرص كل الحرص على تهيئة وتوفر الظروف في سبيل تحصيله العلمي، فلم يكلفه في الحرث أو قيادة ثور الحراثة او جمع الحطب أو حمل حزم القصب والبردي، كما يفعل بعض الابناء اللذين يساعدون ابائهم في الزراعة، وفي الوقت نفسه يتضرع الاب الى الالهة لرعاية وحماية ولده (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، الصفحات ٣٤٩-٣٥٠). وبما أن التعليم كان يستغرق مدة طويلة لمعرفة العلامات المسمارية كتابة وقراءة المعارف الاخرى. فقد كانت هناك ايام استراحة كما ورد ذلك في نص سومري يقضي التلميذ اربعة وعشرون يوماً من الشهر في المدرسة في حين يتمتع بعطلة امدها ثلاثة ايام سماها التلميذ(**ايام الحرية**) وثلاثة ايام اخرى هي(**ايام اعياد المدرسة**) (علي، ١٩٧٩، الصفحات ٤٨-٥٤) بعد أن قطع التعليم في العراق القديم شوطاً كبيراً بدأت حملة لاحياء التراث الفكري والادبي من خلال استنساخ مؤلفات السومريين وتبني فكر الحضارة السومرية من ادب وكتابة ودين، ومن هؤلاء المؤلفين أو النساخ، (نور-ايا) الذي يرتبط اسمه بأحدى قصص الطوفان المعروفة باسم (اتراحسيس) تعني رب الحكمة و(سين-ليفي) الذي يأتي اسمه مع بعض نسخ ملحمة كلكامش في حدود (١٢٥٠ق.م) (باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، ١٩٧٦، الصفحات 52-54؛ الجادر و فاضل، 1987، الصفحات 93-94). ومن اجل اتمام

المعرفة التعليمية والثقافية والعلمية فقد اقيمت وحدات عمارية ذات خصائص فنية من رفوف ودكاك وصناديق مغطاة بالحصير او القير لحفظ الالواح الطينية من الرطوبة وهي على غرار المكتبات الحديثة، ويجمع الباحثون أن اصل نظام المكتبات ودور السجلات يرجع الى حضارة بلاد الرافدين، وتضم هذه المكتبات أدبيات الماضي ومعاجم وقوانين واساطير، مع بطاقة تعريفية بعنوان التأليف الادبي او العلمي أو اللغوي أو الفلكي أو الرياضي أو الطبي، وكان الاله(خاني)مخصصاً لحماية المكتبات وممثله مدير الارشيف(Pisan dubba) ومن المكتبات الشهيرة في العراق القديم مكتبة مدينة نفر،وتضم (٥٣.000) الف لوح طيني، وتختلف في الحجم من(٠.2-٠.50) (كريمر، من الواح سومر، ١٩٥٦، الصفحات 56-57؛ ساكز، ١٩٧٩، صفحة 212؛ ليو، ١٩٨١، الصفحات 308-309؛ (Hilprecht, 1907, p. 55. تعود هذه المكتبة الى عهد سلالة اور الثالثة (2112-2004 ق.م) وتضم حوالي (٢٠٠٠) الفي لوح طيني يعود لفترة تسبق عهد سرجون الاكدي (2371—2316ق.م)، ومكتبة سبار الفنية بمحتوياتها او النادرة في الحجم في فنها المعماري، فقد استخدم اللبن واغصان الاشجار والقصب في تشييد رفوف هذه المكتبة (شكل 5).

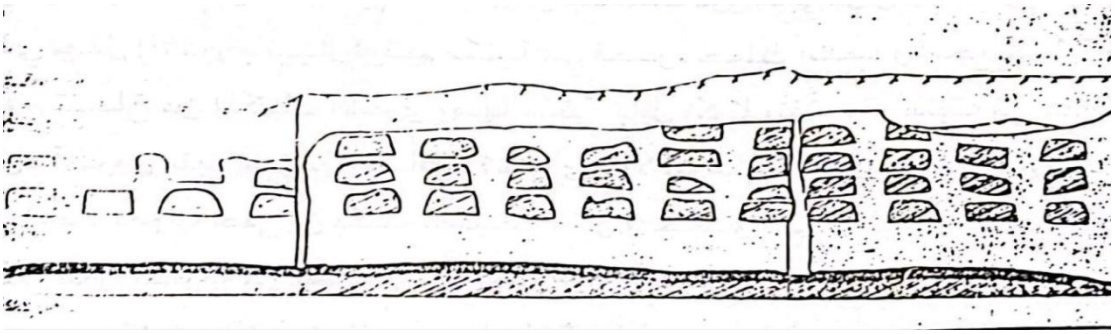

شكل (5)

رفوف مكتبة سبار - (الجادر و فاضل، 1987)

وأحدى غرف المعبد المطلة على القاعة الرئيسة يرجح استعمالها كقاعة مطالعة، والمكتبة مشيدة على هيئة رفوف افقية تشمل ثلاثة جدران في الغرف، والرفوف مقسمة الى قواطع عمودية، عمق كل رف(٧٠سم) وبلغ مجموع الرفوف(٥٦) رفا، وان الارضية مرصوفة بالطابوق ومسيعة بالقار، ويحوي على كتب الفلك والرياضيات والتاريخ والجغرافية وعلوم اللغة والقوانين والاساطير، ويظن انها تعود الى القرن السادس قبل الميلاد حيث شهدت هذه

الفترة انتعاش حركة التدوين ونقل المعارف التراثية، ومكتبة الوركاء التي تمتد تأريخياً حتى الفترة السلوقية(331-126ق.م) (الجادر و فاضل، 1987، الصفحات 95-97).

ومكتبة الملك اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) التي كانت تشغل حيزاً من قصره في نينوى، وتحوي مئات الالاف من الالواح المدونة وقد عرف اشوربانيبال بولعة بالعلوم وحبه للمعرفة فيذكر في سيرته كان يطيب لي ان اقرأ الاحجار المكتوبة في ازمان ما قبل الطوفان مما يدل ان عند الملك ذوق ادبي، وان هذا الذوق الادبي هو الذي جعل اشوربانيبال يقيم مكتبة في قصره حملت اسمه وشجع حركة الجمع والاستنساخ من المكتبات الاخرى ومنها مكتبة بابل وكوثا ونفر، وقد سبقه في هذا المضار ملوك آخرون منهم سرجون الثاني الاشوري. الا أن ما قام به اشور بانيبال تميز دون سواء بالشمولية حتى أن مكتبتة اصبحت مثار اعجاب واهتمام الباحثين لاحتوائها على شتى فنون المعرفة من علمية وادبية ودينية واقتصادية ... وهناك صنف آخر من المكتبات تدعى بيت كنوكي (bit kunukki) ، ولاجل الحفاظ على هذا الخزين العلمي جعلت المكتبات تحت حماية الالهة، كما تبين لنا من نصوص اشورية تحمل اللعنات على كل من يعبث بمحتوياتها أو من لا يرجعها الى محفظاتها أو يسرقها (Meissner, 1925, pp. 331-332; باقر، مقدمة في ادب العراق القديم، ١٩٧٦، صفحة 47؛ كونتنيو، ١٩٧٩، صفحة 167؛ (Banks, 1912, pp. 317-318، ونستنتج من ذلك ان التربية والتعليم كانت لها أولوية في حياة العراقيين القدماء لانها الوسيلة التي تنظم المجتمع وتحفظه، فبجهود العراقيين القدماء تحققت انجازات التقدم العلمي والادبي فأنتشر التعليم في كافة انحاء العالم القديم، واصبحت مراكز العلم والمعرفة، مراكز اشعاع حضاري واستقطاب لسكان المناطق المجاورة، وكانت مدارسهم اما جزءاً من المعابد والقصور او وحدات بنائية قائمة بذاتها، وتدرس بها مختلف العلوم، ولم يكن التعليم الزامياً لذا فأن المتعلمين معظمهم من أولاد الميسورين والكهنة والقادة وجامعي الضرائب، وحظ الطلبة الفقراء من العلم والمعرفة فكان ضئيلاً اذا ما كان معدوماً، لانه من الصعوبة توفير المال والوقت، خاصة وان تعليم الكتابة والخط المسماري كان يستغرق وقتاً طويلاً، اضافة الى ذلك كانت الكتابة في العراق القديم مزدوجة اللغة (السومرية والاكدية)، وكان الاباء يتابعون ابناءهم في المدارس والبيت وابداء النصح والارشاد من اجل يصبح ابناءهم أو بناتهم كاتبات أو كتاب في القصر او المعبد ومن المصطلحات الكتابية التي تدل على أهمية التعليم في العراق القديم لاحظ الجدول (شكل6) (الجادر و فاضل، 1987، صفحة 101).

مدرسة	É -DUB-SAR	أي - دب - سار
ابن المدرسة	dumu É DuB-SAR	دمو أي دب - سار

مدير المدرسة	Umia	اوميا
مدرس اللغة السومرية	DUB- SAR KI-EN-GI	دب سار - كي ان كي
مدرس الهندسة	DUB- SAR ASHAG	دب سار - اشاك
مدرس الرياضيات والحساب	DUB- SAR NISHIT	دب سار نشات
كاتب	tupsarru	تبسارو
رئيس كتاب	Vab Tup Sarri	فاب تب سارى
كاتب صغير	tup Sarru Sehru	تب ساروشيرو
كاتب المعبد	tup Sar bit ili	تب سار بيت الي
كاتب القصر	tup Sar ekalli	تب سار اكلي
كاتب الملك	tup Sar 'Sarri	تب سار شالي
كاتب الملك الاشوري	tup Sar a's'suru	تبار اشارو
اكاديمية (مدرسة عليا)	bit mumui	بيت مومي
قصب الكتابة القصبي	GI DUB- SAR	كي دب سار
كاتبه	nin dub - sar	نن دب سار
مدير الارشيف	Pisan- dubba	بيان دبا
مكتبته	bit kunukki	بيت كونكي
لوح	dub	دب

Abctract

In their documentation of school tablets, the ancient Sumerians approached writing with an educational mindset, reflecting their methods of teaching and instruction. This is evident in some of the earliest written texts from the city of Uruk. By the early third millennium BCE, schools had begun to spread throughout Sumer, and learning to write became an established practice taught in a systematic manner. These texts represented the earliest recorded expressions of human thought, encompassing various forms of knowledge and expertise, whether scientific, professional, or practical.

The ancient Iraqis were pioneers in this remarkable intellectual advancement, which was based on the accumulation of experience and a reflective perspective on the universe, creation, and human ideas. The need for writing likely arose from deep contemplation, as people recognized the necessity of recording important information that could not be ignored. Religious and economic factors played a crucial role in the emergence of writing, which became the foundation for understanding the civilization of ancient Iraq. At a time when many other nations remained in a state of darkness and underdevelopment, Mesopotamia was experiencing significant intellectual and cultural progress.

The written legacy of the ancient Iraqis included myths, epics, divination texts, magical incantations, and letters. These writings serve as essential sources for studying the development of scientific and educational knowledge in the land of Mesopotamia.

المصادر العربية

- باقر، طه،١٩٧٦، مقدمة في ادب العراق القديم، جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة، بغداد.
- باقر، طه، وعلي ، فاضل عبد الواحد، وسليمان ،١٩٨٠،عامر، تأريخ العراق القديم،ج٢، مطبعة جامعة بغداد.
- بصمه چي، فرج، ١٩٦٠، الوركاء، مطبعة الرابطة، بغداد .
- الجادر، وليد،١٩٨٦،اهمية دراسة التراث الفكري في حضارة بلاد الرافدين، مجلة افاق عربية، العدد٧.
- الجادر، وليد ، فاضل، وعبد الاله ،١٩٨٧، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، المجلد١٦، العدد٣، بغداد.
- حنون، نائل،١٩٧٩، تل السيب، مجلة سومر، المجلد٣٥، ج ٢-١.
- ديورانت، ول، ١٩٦٥، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، ج ١،م1 ، ط3، القاهرة.
- روفائيل، بايو اسحق، ١٩٥٥،مدارس العراق قبل الاسلام، بغداد.
- ساكز، هاري، ١٩٧٩عظمة ،بابل ترجمة د. عامر سليمان، الموصل.
- سعيد، مؤيد،١٩٨٣، العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي القديم، حضارة العراق، ج٣.
- سليمان ،عامر،واخرون، ١٩٨٣،جوانب من حضارة العراق القديم، العراق في التأريخ ، بغداد، .
- عبد الحليم، نبيهه محمد، ١٩٨٣،معالم العصر التأريخي في العراق القديم، دار المعارف الاسكندرية.
- علي، فاضل عبدالواحد ،١٩٧٩، كتبوا على الطين، مجلة كلية الاداب، العدد٢٧، بغداد.
- عواد، كوركيس، ١٩٤٨،خزائن الكتب القديمة في العراق، بغداد.
- فرانكفورت، هنري،١٩٦٥، فجر الحضارة في الشرق الادنى، ترجمة ميخائيل خوري، الطبعة الثانية، بيروت- نيويورك.
- الفؤادي، عبد الهادي، ١٩٧٩،النصوص المدرسية القرصية الشكل، القسم الاول، بغداد .
- كريمر، صموئيل نوح، ١٩٧٣،السومريون، ترجمة د. فيصل الوائلي، الكويت.
- كريمر، صموئيل نوح، ١٩٥٦،من الواح سومر، ترجمة طه باقر، وتقديم د. احمد فخري، بغداد.
- كونتنيو،جورج،،١٩٧٩،الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، وبرهان عبد التكريتي، بغداد.
- لويد، سيتون،١٩٤٣، الرافدان، ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس، بغداد.

- ليو، اوپنهايم،١٩٨١، بلاد ما بين النهرين ترجمة، سعدي فيضي عبد الرزاق بغداد.
- مرغريت، روتن ،١٩٨٠، علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي، بغداد.
- مهدي،علي محمد،١٩٨٦، تل حرمل (شادوبم)، التطور الحضري لمدينة بغداد قديماً،بغداد.
- وولي، ليونارد، ١٩٤٨،وادي الرافدين معهد الحضارة، ترجمة أحمد عبدالباقي، مصر.

المصادر الاجنبية

1. Banks, J., 1912, Bismya or the lost city of Adad, Chicago, .
2. Hilprecht, H., 1907, Bet Temple, Zu, Nippur, Leipzig, 1907 .
3. Langdon, S., 1924, Excavation at kish, Paris, .
4. Meissner, B., 1925, Babylonian and Assyrian, vol.1.2, Heideberg,.
5. Parrot, A., 1958, lepalais mission Archeologique, Mari, vol. II, Paris,.
6. Soviet Scholar., 1969,Collection of Studies, Ancient Mesopotimia, Mescow, .
7. Woolley, L., 1931,Excavation at UR,The antiquaries Journal, vol.XI,.
8. Woolley,L, and Mallowan, M,E,L., 1976,UR Excavation, the old Baby –Lonian Period, great Britian, .
9. Walter,A., 1966, Mesopotamia the civilization that rose out of clay, America, .

Bibliography

Banks, J. (1912). Bismya or the lost city of Adad,. Chicago.

Hilprecht, H. (1907). Bet Temple, Zu, Nippur, Leipzig,.
Langdon, S. (1924). Excavation at kish. Paris.
Meissner, B. (1925). Babylonian and Assyrian, vol.1.2. Heideberg.
Parrot, A. (1958). lepalais mission Archeologique, Mari, vol. II,. Paris.
Soviet Scholar. (1969). Collection of Studies, Ancient Mesopotimia, . Mescow.
Walter, A. (1966). Mesopotamia the civilization that rose out of clay. America.
Woolley, L. (1931). Excavation at UR,The antiquaries. Journal, vol.XI.
Woolley, L., & Mallowan, M. E. (1976). UR Excavation, the old Baby -Lonian Period. great Britian.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

ليو،اوپنهايم. (١٩٨١). بلاد ما بين النهرين. ترجمة: فيضي عبد الرزاق سعدي، بغداد.

روفائيل، بابو اسحق. (١٩٥٥). مدارس العراق قبل الاسلام. بغداد.

كونتنيو، جورج. (١٩٧٩). الحياة اليومية في بلاد بابل واشور،. ترجمة: سليم طه التكريتي، وبرهان عبد التكريتي، بغداد.

كريمر، صموئيل نوح. (١٩٥٦). من الواح سومر. ترجمة: طه باقر، وتقديم د. احمد فخري، بغداد.

كريمر، صموئيل نوح. (١٩٧٣). السومريون. ترجمة: د. فيصل الوائلي، الكويت.

باقر، طه. (١٩٧٦). مقدمة في ادب العراق القديم. بغداد: جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة.

باقر، طه ، فاضل عبد الواحد علي، و عامر سليمان. (١٩٨٠). تأريخ العراق القديم،ج٢. مطبعة جامعة بغداد.

مهدي، علي محمد. (١٩٨٦). تل حرمل (شادوبم)، التطور الحضري لمدينة بغداد قديماً. بغداد.

بصمه جي، فرج. (١٩٦٠). الوركاء. بغداد: مطبعة الرابطة.

عواد، كوركيس. (١٩٤٨). خزائن الكتب القديمة في العراق. بغداد.

وولي، ليونارد. (١٩٤٨). وادي الرافدين معهد الحضارة. ترجمة: أحمد عبدالباقي، مصر.

سعيد، مؤيد. (١٩٨٣). العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي القديم، حضارة العراق، ج٣.

حنون، نائل. (١٩٧٩). تل السيب. مجلة سومر، المجلد٣٥، ج ١-٢.

عبد الحليم، نبيهه محمد. (١٩٨٣). معالم العصر التأريخي في العراق القديم. الاسكندرية: دار المعارف.

ساكز، هاري. (١٩٧٩). عظمة بابل. ترجمة:سليمان د. عامر ، الموصل.

فرانكفورت، هنري. (١٩٦٥). فجر الحضارة في الشرق الادنى. بيروت– نيويورك.

ديورانت، ول. (١٩٦٥). قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب، ج ١،م1 ، ط3،. القاهرة.

الجادر، وليد ، و فاضل،عبد الاله. (1987). دور العلم والمعرفة في العراق القديم. بغداد: مجلة المورد، المجلد١٦، العدد٣.